مجلة المرابط

العدد : ٢٠١ الموافق في ربيع الثاني ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٨ ميلادي

عنوان المقال : رسالة إلى الإخوة في المهجر	الكاتب : إبراهيم بن علي الوزير

ما واجهت غريباً عن أهله وديارِه إلا سافرت بي صورته عبر الماضي أكثر من أربعين عاماً لأجد نفسي في عرض البحر - بعد أن يسر الله فراري من المعتقل - وقد تركت أمي المجاهدة لأحزانها وصبرها وثقتها بنصر الله ، واستودعت الله إخوتي " أحمد " رحمة الله عليه في معتقل القصر بصنعاء ، و " زيد " و " القاسم " في معتقل " قاهرة حجة " الذي نصبه الظالمون بين أعشاش النسور والقصور في قمة جبلية وعرة قريبة من باب السماء . هكذا ، وكأنني أعود اليوم لأقتلع قلبي من شجرة الأهل والأحبة وأستسلم لأمواج البحر العارمة وهي تحتضن سفينة الهجرة . أتفرس وجوه هذه " النوارس " المهاجرة وعلى لساني تتدفق الكلمات الأولى لكتابي « بين يدي المأساة : حديث إلى النازحين » ، وفي خاطري تضطرب مأساة الغربة وقضية الغرباء ، وتتردد الأسئلة المعذبة : لماذا ؟ وإلى متى ؟ وكيف نجعل من هذا الشتات هجرة إلى الله ورسوله ؟ كيف نستثمر هجرتنا في البناء والعمل فلا تكون مجرد فرار أو هرب أو ضياع ؟ كيف نتخذ من أول هجرة في تاريخ الإسلام مثلاً يحتذى فننشر رسالة الخير حيثما هاجرنا ، مثلما نشر الذين هاجروا إلى الحبشة رسالة الخير هناك وكأنهم هاجروا إلى قلوب أهلها .

وخلال هذه السنوات التي زادت على الأربعين ازددت إيماناً بأن مثل هذا الشتات لن يتخذ طابع تلك الهجرة الإسلامية الأولى ولن يؤتي ثماره الخيرة إلا :

❋ بوعينا للشمول الإنساني في الخطاب النبوي الذي جعل الأرض كلها داراً للإسلام فلم يعد يخاطب صالحاً أو ثمودَ أو عاداً أو قوماً بمفردهم أو بني إسرائيل - بعد أن أزالت الإنسانية العوائق وذللت بعد المسافات وسارت بسرعة خارقة نحو مرحلة تطور تقارب بها الزمان والمكان وأصبحت الأرض يشملها التعارف على مستوى الأرض كل الأرض والإنسان كل الإنسان - وإنما راح الوعي الإسلامي الإنساني يخترق آفاق الجنس والعرق والوطن ، وينادي لأول مرة في تاريخ الرسالات السماوية : { **يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** } ، { **وما أرسلناك إلا كافة** } ، { **والأرض وضعها للأنام** } .

❋ إذا كانت تصوراتنا أو مفاهيمنا الإسلامية شاملة وواعية وموصولة بنبع الوحي . وأكثر هذه التصورات أو المفاهيم اتصالاً بواقع الشتات ، وأكثرها شمولاً وضرورة وإطلاقاً تصوران أساسيان لا

تستقيم رسالة التوحيد ومنهج الشهادتين إلا بهما . **أولهما تصور « حرية المشيئة »** الذي قام عليه خلق الإنسان ووجوده ، وقام عليه إعلان إسلام المرء بشهادتين هما منهج حياة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، **والثاني تصور « العدل »** - الفردي والاجتماعي - الذي نزلت به كل رسالات السماء : { **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** } . وحرية المشيئة هذه هي الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض فأشفقن منها وأبين أن يحملنها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً فلا يفي بأمانة حملها إلا القليل ، جهولاً بتبعاتها ، فقد يكتب على نفسه شقاء أبدياً أو ضياعاً لها باستسلامه للطاغوت أياً كان وبأي أسلوب وصورة يمتهن بها مشيئته الحرة .

ولكي نجعل من هذا الشتات هجرة إلى الله ورسوله فإنه ينبغي لنا أن نضع تصوري الحرية والعدالة في إطار عالمية الرسالة الإسلامية وإنسانية الخطاب النبوي وإسلامية كل هذا الكون الذي سخر الله كل ذرة فيه لبناء « دار الإسلام » ، كما ينبغي لنا أن نضعهما في سياق الشمول والضرورة لكل فرد ولكل مجتمع .

بعالمية الرسالة وتصوراتها الأساسية لعالم القيم ، استطاع المهاجرون الأولون إلى الحبشة أن ينزلوا في قلوب أهلها وقلوب أصحاب الحل والعقد فيها فلم يعودوا منها إلا وقد دخل معظم أهلها في دين الله . كل ما كانوا يبحثون عنه في هجرتهم هو أن لا يضاموا في إيمانهم لأن الحرية للمسلم هي الرئة التي تتنفس منها عقيدته . بهذه الحرية التي لا تعرف حدوداً ولا سدوداً يستطيع المسلم أن يشع على العالمين برحمة الإسلام ، ويستطيع أن يحقق المعجزات لنفسه ولأمته ولدنياه ولآخرته . فبهذه الحرية التي ابتدأ الله بها خلق أبينا آدم عليه السلام يبتدئ بها كذلك إسلام الإنسان حين يعلن تلك الشهادة التي تنفي كل الآلهة والمعبودات والأصنام والطواغيت والفراعنة وكل ما يستوجب الفرعنة من قوارين وهامانات ليسمو بكرامة العبودية الخالصة لله ؛ تلك العبودية التي تتسع معها حريته اتساع الكون ، والتي يتحرر بها من كل قيد ليعلن ويلتزم بكل حرية المشيئة التي اختار حملها وألزم نفسه بالوفاء بتبعاتها .

مجلة المرابط

العدد : ٢٠١ الموافق في ربيع الثاني ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٨ ميلادي

عنوان المقال : رسالة إلى الإخوة في المهجر	الكاتب : إبراهيم بن علي الوزير

بنعمة الحرية يستطيع المسلمون في مهاجرهم أن ينجوا من الضيم وأن ينقذوا دنياهم وآخرتهم من لعنة الاستضعاف ومن ظلم أنفسهم حين توفاهم الملائكة : { **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيمَ كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً** } .

من أجل نعمة حرية المشيئة صارت الهجرة طاعة ووجوباً وسبيلاً للخلاص .

لكن نعمة حرية المشيئة التي أرادنا الله أن نهاجر في الأرض الواسعة طلباً لها لن تؤتي ثمارها المرجوة إذا اكتفينا من الهجرة بالسلبية وبالتقوقع على أنفسنا . إن السلبية والتقوقع لن يجعلا من شتاتنا هجرة في سبيل الله بل فراراً ولن تكون لنا طاعة بل ضياعاً واستمراراً لحالة الاستضعاف الأولى ، وحملاً لجراثيم المرض الذي سببه فيروس الاستبداد : { **وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم** } فلا خلاص لمن أصيبوا بفقدان المناعة ضد ميكروب وفيروس الطاغوت والطغيان إلا بأن يخلفهم جيل لديه المناعة ضد أي طاغوت وطغيان .

لقد علمنا المهاجرون الأولون الذين لم يستسلموا قط لأي عسف وجبروت وطغيان ، بل قاوموه بكل صلابة ؛ منهم من استشهد تحت التعذيب ومنهم من هاجر حين دعي إلى الهجرة إلى الحبشة... ثم إلى المدينة المنورة كيف تكون الهجرة إشعاعاً وتأثيراً وهدى وكيف تكون جسراً إلى مستقبل أفضل . لقد علمونا بدمائهم وآلامهم وتضحياتهم كيف يكون المهاجر منهم ثغراً من ثغور الإسلام فلا يؤتى الإسلام من قبله ، وكيف يكونوا إيجابيين مع الحرية التي نعموا بها في مهاجرهم ، فتجمعوا وتنظموا وفتحوا عقولهم وقلوبهم لمن حولهم وصار كل واحد منهم منارة هدى ورحمة للناس جميعاً .

ولطالما كان للمهاجرين الأولين في يوسف الصدّيق مثل يحتذى . فقد كان عليه السلام سيد المستضعفين في الأرض ورمزاً لهم . كان طفلاً يافعاً حين كاد له إخوته عند أبيه ، ورموه في جب صحراوي قد تمر الأيام والليالي الطويلة فلا يمر به أحد . ولم يكد يلتقطه بعض السيارة الذين رأوه سلعة تباع وامتهنوا بذلك إنسانيته ، ولم يكد يفرح بنعمة النجاة وقد انتقل من بيئة بدوية متخلفة إلى أرقى حضارة في ذلك العصر حتى امتحن في دينه وأخلاقه فكان مثلاً أعلى للملتزم بالخلق الكريم والصراط المستقيم ، وأعيد

من جديد - هذه المرة - إلى غيابة السجن حيث كان مقدراً لهذا الغريب المقتلع من أهله وأرضه أن يبقى في سجنه وحيداً فريداً منسياً لا يسأل عنه أحد .

لقد وصفه ربه بأنه كان من المحسنين . والمحسنون في عملهم هم أولئك الذين تشع أعمالهم فترسل أضواءها على الغير وتجذب إلى فلكها . وأول شعاع له كان على صاحبيه في السجن إذ أيقظ فيهما معنى الحرية بكرامة توحيد الله الرحمن الرحيم الخالق لكل شيء... { **يا صحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار** } فهم يعيشون إذلال من يُستعبد لأرباب متعددين . فرعون رمز الاستبداد على مدى التاريخ ؛ وهامان رمز التضليل وتخدير المستَبَدِّ بهم دينياً وكهانة وأساطير وفي الوقت ذاته إدارة قوة قمع وسيطرة وامتهان وإذلال واستئصال لأي إرادة حرة ، وقارون رمز الاستغلال والمشاركة في نهب جهود الآخرين وتكوين طبقة مستغلة تخدم الفرعون ، ولأن الأرباب الذين تقضي عليهم حرية المشيئة عند اختيار الإيمان برب الحرية والكرامة ومانحهما للإنسان وحده هو الحق وما سواه باطل .

ذلك هو منهج يوسف المهاجر ، أحبه كل من خاطبه واتصل به فكانوا له عوناً وسنداً . ومن هذا الرمز الخالد للاستضعاف تبرعم الرمز الخالد للمهاجر المؤمن الإيجابي الذي لا يقطع حباله مع الله ولا يقطع حباله مع الناس ، ويظل في كل حالاته ثغراً من ثغور دينه ، ومنارة تشع بالهدى والإنسانية والاعتصام بحبل الله .

بذلك كان عليه السلام سيداً في استضعافه وسيداً في هجرته . وبذلك مكن الله له " سننه " في الأرض ، وجعله حفيظاً على خزائنها . لقد علمنا الله في هذه القصة الرائعة أن نتحلى بالإيجابية ، ووضوح الغاية ، وأن نكون في مواقع التأثير .

ومن دروس يوسف عليه السلام أنه لما أراد أن يؤوي إليه شقيقه استخدم قانون البلد الذي هاجر إليه : { **وكذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك** } فلم يتنطع . فحيثما تكون المقاصد العادلة فثم شرع الله . وعلى ذلك الأساس وضع خطة اقتصادية أنقذ بها الاقتصاد المصري . فلما قوي أمره وأصبحت له الكلمة الأولى قال : { **ائتوني بأهلكم أجمعين** } . وعلمنا أكثر من ذلك بأن نكون إنسانيين

نعمل في إطار رسالة الرحمة ، فنترفع - ونحن في هذه المواقع - عن الأحقاد والجراح والانفعالات الغريزية المدمرة كما ترفع يوسف الصديق عليه السلام الذي كان يستطيع أن يقود جيوش مصر بعد أن وصل إلى المكانة الأولى للانتقام من إخوته الذين آذوه بحقدهم وكفرهم وكذبهم وتآمرهم ، وعرضوه للموت المحقق لكنه بدلاً من ذلك استدعاهم وسمع بأذنيه الطاهرتين إصرارهم على أذاه واتهامهم له بالسرقة فأكرمهم وقال لهم بأخلاق النبوة العظيمة : { **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم** } .

في هذه الهجرة الإيجابية التي كان مثلها الأعلى يوسف الصديق عليه السلام ، كان هؤلاء الذين استضعفهم عتاة قريش وأضاموهم يبنون مستقبل العالم وينسجون بخيوط الرحمة والعدل والحرية والإيمان بعالمية الرسالة نظاماً جديداً للعالم ستظل غاياته السامية صالحة حتى تقوم الساعة ، وستظل وسائله في تجدد دائم وتحسن مستمر .

بهؤلاء المستضعفين الذين هاجروا من ديارهم في أرض الله الواسعة أشرقت شمس الإسلام على العالم ، وبهم كسرت قيود العبودية لغير الله وتحرر البشر من شواطئ بحر الظلمات حتى خاصرة الصين . إن هؤلاء المهاجرين الذين طهرت الهجرة في سبيل الله قلوبهم وأرواحهم وغسلتها برحمة رسالة الإسلام كانوا أيضاً يتحلون بالإيجابية ، ووضوح الغاية ، وكانوا أيضاً إنسانيين يعملون في إطار رسالة الرحمة . بذلك ترفعوا - كما فعل يوسف الصديق - عن روح الانتقام والغرائز الدنيا فعفوا عن إخوتهم عتاة قريش ومشركيها وكفارها حين أعاد الرسول على مسامعهم أنبل ما في قصة يوسف مع إخوته بقوله لأهل مكة : « **اذهبوا فأنتم الطلقاء** » .